دكتور بهاء الأمير

حقيقة ما يحدث في مصر[•]

[•]) رداً على استفسار عما يحدث في مصر.

١

العلم يقتضي التمييز والفصل بين المسائل المختلفة والتي تبدو للعوام ، لتقارب زمانها أو اتحاد مكانها أو تشابه بعض أحداثها أو اشتراك بعض أشخاصها وأطرافها، واحدة.

والإنصاف والموضوعية والأمانة تقتضي ، بعد هذا التمييز والفصل ، إعطاء كل مسألة من هذه المسائل المختلفة الملتبسة ، والتي تبدو لالتباسها واحدة ، حكمها والحكم على أطرافها مسألة مسألة.

وليس كما يفعل أصحاب الغرض ، وصاحب الغرض أعمى ، فيدلسون على عموم الناس او على العميان ممن يتبعونهم بإدخال مسائل مختلفة في بطن بعضها ، ثم يوظفون هذا الإدخال وعلمهم إن كان لهم علم في الترويج لما يوافق أهواءهم أو في تصفية عداواتهم وخصوماتهم ، لا لإحقاق الحق وإبطال الباطل ، ولا لرأب صدع أو إخماد فتنة ، ويتخذون الموقف ونقيضه ونقيض نقيضه ، وكل موقف يغلفونه في غلاف الشرع ويزركشونه بأدلته ، ويستدعون له من بطون الكتب أوصافاً وأحكاماً في أزمنة أخرى وأماكن أخرى ، ولها ظروف وملابسات وأطراف مختلفة ، وأفرزتها قواعد ومعايير وعلاقات وأوضاع لا يوجد أي وجه للشبه بينها وبين ما يحدث.



فض اعتصامات الإخوان والحركات الإسلامية ومن يناصرونهم في الميادين مسألة ، والطريقة الهمجية التي تم بها هذا الفض مسألة أخرى ، وما واكب هذا الفض وما تلاه من إطلاق البلطجية وتحريض الرعاع على عموم المتدينين في الإعلام والشوارع والمواصلات والأماكن العامة مسألة ثالثة ، وكل منها له حكم ولنا منه موقف غير الأخرى.

والإطاحة بالرئيس الإخواني وحكم الإسلاميين مسألة تدخل في إطار السياسة ، والسياسة وكل ما يتصل بها من الفروع وتقبل الاختلاف واتباع هذا الطرف في

موقفه أو ذاك ، وأما المسار الذي تم ويتم دفع مصر إليه بعد هذه الإطاحة وبذريعة مواجهة الإخوان والحركات الإسلامية ، والأسلوب الغشيم الذي يتم به دفعها في هذا المسار فمسألة أخرى تتعدى السياسة والتنازع على السلطة إلى مسائل تتعلق بالهوية وتكوين المجتمع وما يحكمه من قيم وأخلاق ومعايير وقواعد وما يحدد من يكون أولياؤه وأعداؤه ، وإلى مسائل تتصل مباشرة باليهود ودولتهم ، وهي المسألة التي لا نجامل فيها أحداً ، كائناً من كان ، لا الأشخاص ولا الجماعات ولا الدولة ولا الجيش ولا العالم كله ، بل ولا حتى الأزهر .



ما تشهده مصر هو حرب من الجيل الرابع من الحروب ، وهي الحرب التي يتخندق أطرافها ، كلٌ منهم في مواجهة الآخر ويصارعه من أجل تحقيق أهداف طرف آخر هو الذي يوقد نيرانها دون أن يمسه لهيبها ، بل ودون أن يراه أحد أو يظهر في ساحتها.

وهي الحرب التي يعتمد إيقادها ثم امتدادها واستعار نارها على غباء أطرافها ، جميع أطرافها ، وأكرر : يعتمد على غباء جميع أطرافها ، وتوهم كل طرف منهم أن ما يملكه من القوة سوف يمكنه من سحق الطرف الآخر وكسر إرادته ، وهو وهم لأنه لو كان طرف من أطراف هذه الحرب يملك القوة الكافية لحسمها لما هيأ الطرف الذي أوقدها ملابساتها ووفر ظروف اندلاعها ولما كانت من الجيل الرابع.

أما كيف تم إيقاد هذه الحرب وتوفير حطبها ونارها فمسألة كبيرة لا يمكن فهمها ولا إدراكها في مستوى السياسة وصراعاتها ولا اللحظة الراهنة وما يحدث فيها ، بل تحتاج إلى فهم تاريخ مصر الحديثة كله والمعمار الذي رسمه اليهود والماسون في غلاف الاستعمار للعلاقة بين السلطة والمجتمع وبين الدولة والإسلام.

وهو المعمار الذي استعمروها أصلاً من أجل إقامتها فيه لكي يمكن إقامة إسرائيل ثم تمديدها وإقامة الهيكل ، وهو المعمار الذي يحكم مصر ويتحكم فيها وكل ما يحدث فيها من مآس من إفرازاته ونواتجه.

٤

ما يحدث في مصر منذ الإطاحة بالرئيس الإخواني نزاع على السلطة في ظاهره واستخدام للقوة من أجل حسم هذا النزاع ، وهو في طبقته العميقة نقل لعبء مواجهة الإخوان والحركات الإسلامية من أجهزة الأمن الداخلي والشرطة ، كما هو الوضع الذي ظل قائماً لعشرات السنين وفي كل الانظمة سواء كانت ملكية أو جمهورية ، إلى الجيش وقواته المسلحة.

وهو ما سيتبعه قصر الوقت أو طال تكون جماعات وحركات تعتبر الجيش عدواً لها واستهدافه عسكرياً ومعنوياً من أولوياتها، وهو ما يترتب عليه تغيير عقيدة الجيش المصري وإحلال الحركات الإسلامية فيها محل إسرائيل ، مع ما يتطلبه ذلك من تغيير الاستراتيجيات والتكتيكات ونوعية السلاح والتدريب والخطط والأهداف المرحلية.

وهو التغيير في العقيدة الذي سترتقي به إسرائيل في الوعي المصري والعربي درجة جديدة ، فبعد ان كانت عدواً نرفضه ونقاتله ، ثم ارتقت إلى عدو نرفضه ولا نقدر على قتاله ، ثم صارت عدواً نعاديه في أذهاننا ولا نقدر لا على رفضه ولا على قتاله ، ستصبح صديقاً لا نعاديه أصلاً ولا حتى في أنفسنا ، بل نحالفه من أجل مواجهة العدو الذي أحله ما يحدث في وعينا محلها.

٥

الخاسر الأول من الصراع الذي اندلع في مصر ليس الإخوان ولا الحركات الإسلامية التي تلقت أمثال هذه الضربات وألفتها ولا شئ فيما يحدث جديد عليها ، الخاسر الأول هوالجيش الذي فقد هيبته ومنزلته الرفيعة في وعي قطاعات واسعة من المصريين ومكانته السامية في نفوسهم.

وهي الهيبة والمنزلة والمكانة التي يصنعها الموقع والغاية والرسالة والوظيفة والطريقة والأسلوب ، ولا تصنعها ولا تستعيدها إن هي ضاعت الأغاني الشعبية ولا

المظاهرات المليونية ولا الصحف والبرامج التلفزيونية ولا صفحات الفيس بوك الدعائية ولا صراخ المشايخ على المنابر ولا خروجهم على الناس في برامج التوك شو عشاءًا يبكون.

والخاسر الأكبر هو الدولة المصرية التي انهارت كل مؤسساتها وفقدت وظائفها وإن بقيت هياكلها وأبنيتها وأشخاص يحملون شاراتها وعلاماتها.

والمؤسسات ليست مجرد أبنية ولا أشخاص ، بل وظيفة ورسوخ لهذه الوظيفة ولأن هذه المؤسسات تؤديها في وعي عموم الناس.

والمؤسسة توجد إن قامت بوظيفتها وإن لم يكن لها أبنية ولا شارات ، ولكنها لا توجد إذا فقدت وظيفتها في وعي الناس وإن كان لها عشرات الصروح وبها آلاف الأشخاص من ذوي الوجاهة والفخامة.

فعمر بن الخطاب كان مؤسسة للحكم وهو ينام تحت شجرة وفي ثوبه أربع عشرة رقعة ، وعلي بن أبي طالب كان مؤسسة للعدالة دون محاكم ولا أوشحة ولا ألقاب فخمة.

وما يحدث انهارت به مؤسسات الدولة المصرية وفقدت وظيفتها ، فلم يعد الجيش يعني حماية مصر من عدوها الذي لا عدو لها غيره ، ولا عاد القضاء يعني العدالة ، ولا الشرطة تعني الأمن.

٦

الحرب التي استعرت في بلاليص ستان بين أنظمتها وحكوماتها وبين جماعة الإخوان والحركات الإسلامية سيطول أمدها ، وليس عندي أدنى شك أنها سوف تنجلي ، بعد أن تضع أوزارها وتصمت أبواقها وينقشع غبارها ، عن انتصار إسرائيل وإقامة الهيكل.

٧

الشئ الوحيد الذي نتعلمه من التاريخ أنه لا أحد يتعلم من التاريخ!

فقد أبصرت زرقاء اليمامة ما لم يره وما لا يقدر على رؤيته أحد غيرها ، فلما نبأت به قومها هزوا رؤوسهم ضاحكين وقالوا لها إن نظرية المؤامرة ملأت عقلها وجعلتها ترى أوهاماً لا وجود لها إلا في رأسها ، ثم انصرفوا عنها وساروا خلف عمشاء اليمامة!

دكتور بهاء الأمير

٢٠جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ/٢٠ أبريل ٢٠١٤م